فهرس المحتويات

الدرس	الموضوع	الصفحة
الأوّل	حاجتنا للقادة الإلهيين	٤
الثّاني	الحاجة للأنبياء كمشرّعين	٩
الثّالث	لماذا الأنبياء معصومون	١٤
الرّابع	أفضل الطرق لمعرفة النبي صلى الله عليه وآله	١٩
الخامس	أعظم معجزة لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله	٢٣
السّادس	نافذة على إعجاز القرآن	٢٧
السّابع	نظرة القرآن إلى العالم	٣٠
الثّامن	القرآن والاكتشافات العلمية المعاصرة	٣٤
التّاسع	دليل آخر على صدق نبوة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله	٣٨
العاشر	نبيّ الإسلام خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله	٤٣

قصور علمنا

قد يتساءل البعض: هل من الضروري أنَّ يبعث الله الأنبياء لهداية الإنسان؟ ألا يكفي عقلنا وحكمتنا لادراك الحقائق؟ ألا يساهم تقدم العلوم عند البشر في كشف الاسرار الغامضة وتوضيح الحقائق جميعها؟

ثمّ أنَّ ما يأتى به الأنبياء لا يخرج عن حالتين اثنتين: فإمّا أنْ يدركه عقلنا، وإمّا أنّه لا يدركه.

ففي الحالة الاولى، لا حاجة لتجشم الأنبياء هذا العناء، وفي الحالة الثانية، لا يمكننا أنْ نتقبل أموراً هى خلاف ما يراه عقلنا.

ومن جهة أخرى، هل يصح أنْ يضع الإنسان نفسه تحت تصرف شخص آخر كلياً ويطيع أوامره دون أي اعتراض؟ أو ليس الأنبياء بشراً مثلنا؟ فكيف نضع أنفسنا تحت تصرف إنسان لا يختلف عنّا بشي؟

للإجابة عن هذه الأسئلة لابدّ من الأخذ بنظر الاعتبار النّقاط التّالية التي سوف تبيّن أهمية وجود الأنبياء البشرية:

١. علينا أنْ ندرك أنَّ علمنا قاصر ومحدود، فعلى الرّغم من كل هذا التقدم العلمي حققه الإنسان في مختلف ميادين العلوم، فإنَّ ما نعلمه بالنسبة لما لا نعلمه لا يكاد يبلغ مقدار قطرة الماء بإزاء البحر، أو بإزاء الجبال، أو كما قال أحد كبار العلماء: إنَّ كل ما نعلمه اليوم لا يزيد على الالف باء في كتاب عالم الوجود العظيم.

وبعبارة أخرى، إنَّ المساحة التى يحكمها عقلنا وإدراكنا مساحة صغيرة تضيئوها أشعة العلم، أمّا ما هو الواقع وراء ذلك فلا علم لنا به إطلاقاً. فيأتي الأنبياء ليلقوا لنا الضوء على مناطق أوسع بالقدر الذي نحتاجه. صحيح أنَّ عقلنا أشبه بكاشف قوى النور، ولكن الأنبياء بما يأتون به من الوحي الإلهي يكونون أشبه بالشّمس التي تسطع على الكائنات. أفهناك من يقول: ما دمنا نملك هذا الكاشف القوي، فما حاجتنا بالشمس؟

وبتعبير أوضح نقول: إنَّ أمور الحياة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

''المعقول'' و ''غير المعقول'' و ''المجهول''.

والأنبياء لا يمكن أنْ يقولوا شيئاً ''غير معقول'' وخلافاً لما يقول به العقل وتحكم به الحكمة، فإذا قالوا فهم ليسوا أنبياء. إنَّما الأنبياء يعينوننا على إدراك المجهولات، وهو أمر مهم لنا.

وعليه، فمن يقول: إنَّنا بوجود العقل والحكمة لا نحتاج إلى الأنبياء – مثل الطائفة البرهمية في الهند وفي أماكن أخرى، أو من يقول: مع العلم وإنجازاته وانتصاراته العلمية، لم تعد حاجة إلى الأنبياء وتعليماتهم. كلاهما لم يعرفا حدود العلم عند البشر، ولا رسالة الأنبياء الإلهية فهم أشبه بالصّبي الذي درس الحروف الهجائية في المدرسة ثم قال إنَّه أصبح عالماً بكل شيء ولم يعد بحاجة إلى المعلم والأستاذ. ثم إنَّ الأنبياء ليسوا مجرد معلمين، فإنَّ مركزهم كقادة له حساب خاص سوف نتناوله بالشرح إنْ شاء الله.

٢.– لم يقل أحد إنَّ على المرء أنْ يضع نفسه كلياً تحت تصرف شخص آخر مثله، أمّا الأنبياء الذين ينطقون عن الوحي الإلهي، فعلينا أنْ نتأكد من ارتباطهم بعلم الله اللامتناهي عن طريق الأدلة الدامغة. ففي هذه الحالة وحدها يمكن أنْ نتقبل أقوال هؤلاء القادة الرّبانيين بمجامع قلوبنا. فلو أنَّ أحداً عمل وفقاً لإرشاد طبيب ماهر، فهل يكون عمله هذا مرفوضاً؟ إنَّ الأنبياء (عليهم السلام) أطباء روحانيون عظام! فإذا استوعبت درس معلم ينسجم مع عقلي وفكري، فهل أكون قد أخطأت؟ إنَّ الأنبياء (عليهم السلام) معلمون كبار! ويحسن بنا أنْ نبحث أدلة ضرورة إرسال الأنبياء من قبل الله عزّوجلّ.

إنَّ هناك ثلاثة أدلة حيّة تؤكد حاجتنا إلى هداية الأنبياء:

١–الحاجة إلى التعلم :

لو إنَّنا امتطينا سفينة وهميّة مصنوعة من أمواج النور، تنطلق بسرعة ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثّانية في هذا الفضاء اللامتناهي، فإنَّنا سوف نحتاج إلى الآلاف من مثل عمر نوح حتى نستطيع أنْ نستكشف زاوية من هذا الكون الواسع المترامي الأطراف.

إنَّ هذا الكون باتساعه المخوف لم يخلق عبثاً حتماً. لقد علمنا من دروس ''معرفة الله'' أنَّ خَلْق هذا العالم لا ينفع الله بشيء، لأنه كامل، وغير محتاج، ولا نهاية له، فليس به نقص لكي يسعى لسدّه عن طريق خلق العالم والبشر.

نستنتج من هذا أنَّ هدفه هو أن يفيض على البشر من جوده ورحمته، ليوصل الكائنات الأخرى إلى التكامل، كالشمس التي تشرق بنورها على أهل الارض بغير أنْ تكون محتاجة إليهم، بل نحن الذين نحتاج إلى ضوئها، وإلا فماذا نستطيع فعله لصالح الشمس؟

ثمّ، من جهة أخرى، هل تكفي معلوماتنا وحدها للسير بنا في طريق التكامل وإيصالنا إلى مرحلة الإنسان الكامل من جميع الوجوه؟

تُرى كم نعرف من أسرار العالم؟ ماهي حقيقة الحياة؟ متى وجد هذا العالم؟ إنَّ أحداً لايعرف الجواب القاطع عن هذه الأسئلة. حتى متى سنبقى؟ لا أحد يعرف الجواب كذلك. ومن حيث الحياة الاجتماعية والاقتصادية كل عالم من علماء البشر له رأى أو نظرية. فبعض يوصون بالرأسمالية، وفريق آخر يرتأون الاشتراكية والشيوعية، وآخرون يرفضون هذا وذلك.

وفي مسائل الحياة الأخرى تجد مثل هذا الاختلاف قائماً وبكثرة، ويصاب الإنسان بالحيرة، ترى أيها يختار؟ هنا لابدّ لنا من الاعتراف بأنَّنا ولكي نصل إلى هدف الخلق الأصيل و هو ''نمو الإنسان وتكامله وتربيته على جميع المستويات'' نحتاج إلى مجموعة من التّعليمات الصّحيحة والسّليمة والخالية من كل خطأ، والمستندة إلى حقائق الحياة الواقعية، تمكن الإنسان من السير في الطريق الطويل الموصل إلى هدف الخلق الأصيل.

وهذا لا يكون إلا عن طريق العلم الإلهي، أي الوحي السماوي الذي ينزل على الأنبياء. ولهذا فإنَّ الله الذي خلقنا لكي نسير في هذا الطريق لابدّ له أنْ يتيح لنا مثل هذا العلم وهذه المعرفة.

٢-الحاجة إلى القيادة في المجالات الاجتماعية والأخلاقية :

إنَّ فينا -كما نعلم - إضافة إلى العقل، غرائز وميول قوية، مثل غرائز حبّ الذّات، والغضب، والجنس، وغرائز أخرى كثيرة.

إنَّنا إذا لم نكبح جماح غرائزنا وتركناها تسيطر علينا، فإنَّ عقلنا سيكون مقيداً محجوراً عليه ويكون الإنسان كجبابرة التّاريخ وطغاته وأشد خطراً من ذئاب الصحارى المفترسة.

لذا فنحن بحاجة إلى التربية الأخلاقية على يد مرّب، وإلى ''الأسوة'' الذي نحاكيه في الأقوال والأفعال ونحذو حذوه. إنَّ أسوة كهذا يجب أن يكون ذا تربية كاملة من جميع الجهات بحيث يستطيع أنْ يأخذ بيدنا في هذا الطريق الكثير المنعطفات وينقذنا من طغيان غرائزنا، ويزرع في نفوسنا أصول الفضائل والأخلاق بأعماله وأقواله، ويربّينا على الشجاعة وحبّ البشر، والمروءة، والتضيحة، والوفاء، والصدق، والأمانة، وطهارة الرّوح.

فمن هو الحقيق بأنْ يكون قدوة وأسوة غير نبي معصوم؟

ولهذا فإنَّ الله القادر الرحيم لا يمكن أنْ يحرمنا من أمثال هؤلاء الأنبياء المربين الهداة.

التقويم:

١. إذا ازددنا علماً ومعرفة فهل تظن أنَّ معلوماتنا تفوق مجهولاتنا؟ مثّل لذلك.

.....

.....

٢.. أتستطيع أنْ تبين الفرق بين التقليد الاعمى واتَّباع الأنبياء؟

.....

.....

٣. إذا سرنا على طريق مجهولة بدون هاد يهدينا، فما الاخطار التي قد تهددنا؟

.....

.....

٤. بيّن أبعاد حاجتنا إلى قيادة الأنبياء؟

.....

.....

٥. ما الموضوع الذي تظن أنَّه بقى إلى الدرس القادم في هذا البحث؟

.....

.....

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثاني

الحاجة للأنبياء كمشرّعين

الحاجة للأنبياء كمشرّعين

في الدّرس السّابق أدركنا الحاجة إلى الأنبياء من حيث ''التربية'' و ''التعليم''، والآن جاء دور القوانين الاجتماعية والدّور المهم الذي يضطلع به الأنبياء بهذا الشأن.

إننا نعلم أنَّ أهم سمة تتسم بها حياة الإنسان، والتي تعدّ أهم عامل في تقدم الإنسان وإنجازاته في مختلف أدوار حياته، هي الحياة الاجتماعية. لو أنَّ الإنسان بقى يعيش منفصلا عن إخوته لكان الآن باقيا على مستواه الفكري والحضاري المنحط الذي كان عليه إنسان العصر الحجري.

نعم، إنَّ المحاولات والمساعي الجماعية هي التي أوقدت مشعل الثقافة والحضارة، وهي التي كانت الدّافع إلى بلوغ كل هذه الاكتشافات والاختراعات العلمية.

خُذ مثلا الوصول إلى القمر، تجد أنَّ هذا الإنجاز كان حصيلة عمل عدد من العلماء، بل الآلاف منهم تضافرت جهودهم على مدى مئات السنين في البحث والتجربة. وما كان هذا ليتم لولا الحياة الاجتماعية التي تراكمت فيها الخبرات والمعارف حتى حققت هذا الإنجاز العظيم.

إذا نجح طبيب حاذق في عصرنا في زرع قلب إنسان ميت في صدر إنسان حي ذي قلب مريض، فأنقذه من موت محقق، فإنّه يكون مدينا بنجاحه إلى آلاف التجارب السابقة التي أجراها آلاف الأطباء والجراحين انتقلت على امتداد التاريخ من طبيب إلى طبيب حتى وصلت إليه. غير أنَّ للحياة الاجتماعية مشكلاتها إلى جانب محاسنها الكثيرة، كتضارب المصالح والرّغبات والحقوق، ممّا يؤدي أحياناً إلى اندلاع نيران المصادمات الدموية والحروب الطاحنة.

هنا تظهر حاجتنا إلى القوانين والتعليمات الواضحة التي تحل لنا ثلاث مشكلات كبيرة:

١. القانون يحدد واجبات كل فرد نحو المجتمع، وواجبات المجتمع نحو الأفراد، بحيث تنفتح المواهب ضمن مساع متعاونة.

٢. القانون يمهد طريق الإشراف على حسن اداء الأفراد واجباتهم.

٣. القانون يحول دون قيام الافراد بالاعتداء على حقوق الاخرين، ويمنع انتشار الفوضى والتّضارب بين الأفراد والجماعات، ويقرر العقوبات المناسبة على المعتدين.

من هو خير المشرعين ؟

في هذه الحالة يتعين علينا أنَّ نعرف من هو أفضل شخص يستطيع أنْ يسنّ القوانين التي تتطلبها حياة البشر الاجتماعية، بحيث تتحقق فيها المبادئ الثلاثة المذكورة: بيان الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع والإشراف السليم على تنفيذ القوانين، ووقف عدوان المعتدين.

ولنضرب هنا مثالا بسيطاً:

يمكن أنْ نشبه المجتمع البشري بقطار كبير، والهيئة الحاكمة هي ماكنة القطار التي تقود القطار في مسيره، والقانون بمثابة السكة الحديدية التي تعين الخط الذي يجب أن يسير عليه القطار كي يصل إلى غايته، ماراً بالمنعطفات والمرتفعات والمنخفضات والجبال والوديان. لاشك أنَّ السّكة الحديدية الجيدة يجب أنْ تتوفر فيها الأمور التّالية:

- الأرض التي تمتد عليها السّكة يجب أنْ تكون صلبة تتحمل أقصى ضغط يمكن أنْ يسلط عليها.
- الفاصلة بين الخطين يجب أنْ تكون متساوية على امتدادهما بدقّة متناهية بحيث تساوي الفاصلة بين عجلات القطار. كما أنَّ جدران الأنفاق وارتفاعاتها يجب أن تناسب القطار الذي يمرّ بها.
- الارتفاعات والانحدارات يجب أن لا تكون حادة إلى درجة لا تسطيع معهما الماكنة من سحب القطار، أو إيقافه عند اللزوم.

ثمّ إن هنالك احتمالات الانهيارات الجبلية وتهاوي حافّات الوديان التي يمرّ بها القطار، وكذلك السيول والثلوج الساقطة، يجب أنْ تؤخذ كلّها بالحسبان الدقيق لكي يستطيع القطار أن يواصل مسيرته في مختلف الظروف

والحالات، وأن يصل هدفه بسلام نعود إلى ''المجتمع الإنساني'' لتطبيق هذا المثال عليه: إنَّ المشرّع الذي يريد أن يضع خير القوانين للبشر يجب أنْ تتوفر فيه الشروط التالية:

١. أنْ يكون عارفاً معرفة تامّة بالبشر، بغرائزهم، وعواطفهم، وحاجاتهم، ومشكلاتهم وكل ما يتعلق بهم.

٢. أنْ يأخذ بنظر الاعتبار جميع مؤهلات الناس واستعداداتهم ومواهبهم لكي يستخدم القوانين في سبيل تفتحها وازدهارها.

٣. أنْ يكون قادراً على التنبؤ بما يمكن أنْ يقع في المجتمع من حوادث وطرق مواجهتها على أفضل وجه.

٤. أنْ لا تكون له أية مصالح شخصية ولا لأيّ من أقربائه والمختصين به.

٥. أنْ يكون عارفاً بكلّ ما حققه الإنسان في تقدمه، وما أصابه من إحباط وإخفاق.

٦. أنْ يكون في أقصى درجة من العصمة ضد الخطأ والنسيان.

٧. وأخيراً، على هذا المُشرِّع أن يكون شجاعاً وجريئاً، فلا ترهبه أية قوّة ولا شخصية في المجتمع، ولا يخشى أحداً أبداً، على أنْ يكون ـ في الوقت نفسه ـ على قدر كبير من المحبّة والعطف.

من الذي تتوفر فيه هذه الشروط ؟

هل يكون الإنسان أفضل مشرّع؟ أهنالك من عرف الإنسان حتى الآن معرفة تامَّة؟ كتب أحد كبار العلماء المعاصرين مؤخراً كتاباً عنوانه ''الإنسان، هذا الكائن المجهول''. هل عرفت نفسية الإنسان وغرائزه وميوله و عواطفه معرفة تامَّة حتى الآن؟ هل يمكن العثور بين الناس على شخص لا تكون له مصالح خاصّة في المجتمع؟ أهناك بين الناس العاديين إنسان يكون مصوناً من كل خطأ ونسيان، وله معرفة تامّة بجميع مشكلات المجتمع البشري وأفراده؟

إذن، لن تجد بين الناس العاديين من تتوفر فيه الشروط المطلوبة، لذلك ليس سوى الله، ومن اختاره لتلقّى وحيه، يمكنه أنْ يكون أفضل مشرّع للبشرية.

وهكذا نصل إلى هذه النّتيجة: إنَّ الله الذي خلق البشر ليسيروا في طريق التكامل، لابدّ أنْ يبعث أناساً يأمرهم بهداية البشر نحو الله و يبيّن لهم شريعة السّماء الإلهية الجامعة والشاملة.

ولاريب أنَّ الناس إذا علموا أنَّ الشريعة التي بين أيديهم نازلة من الله، فإنهم يطبقونها بكل ثقة واطمئنان، أي أنَّ علمهم بذلك يضمن تطبيق القوانين بصورة جيدة.

العلاقة بين التوحيد والنبوة :

هنا ينبغي أنْ نلتفت إلى هذه النقطة، وهي أنَّ نظام الخلق نفسه خير شاهد حي على ضرورة وجود الأنبياء ورسالاتهم الإلهية. وذلك لأن نظرة واحدة إلى نظام الخليقة العجيب تدلّنا على أنَّ الله تعالى لم يغفل بلطفه عن تأمين أي حاجة من حاجات الإنسان، فهو عندما خلق العين لكي ننظر بها، خلق معها الأجفان والأهداب للحفاظ عليها ولتنظيم سقوط الضوء عليها. وخلق في زوايا العين غُدداً تفرز الدّموع لكي يبقى سطحها رطباً دائماً، إذ أنَّ جفافها يذهب بها.

وفضلا عن ذلك خلق في العين نافذة صغيرة تسيل خلالها الدّموع الزائدة إلى الأنف، ولولا هذه النافذة، الصغيرة لاستمرت الدّموع تسيل على وجوهنا. ويمنح بؤبؤ العين من الحساسية الشديدة بحيث أنَّه يتأثر بشدّة الضوء وضعفه فيضيق ويتسع تبعاً لذلك بصورة لا إرادية لكيلا يصيب العين ضرر من جراء شدة الضوء. وفي أطراف كرة العين عضلات مختلفة تسهل عليها الدوران إلى الجهات المختلفة بغير حاجة إلى إدارة الرأس والجسم. فهل الله الذي لا يغفل عن حاجات الإنسان الدّقيقة هذه يمكن أنْ يحرم الإنسان من هادٍ وقائد موثوق به ومعصوم من الخطأ ويأتمر بأوامر الله ووحيه؟ يقول الفيلسوف المعروف ابن سينا في كتابه ''الشّفاء'' المشهور:

''لاشك أنَّ حاجة الإنسان إلى إرسال الأنبياء إليهم لبقاء النوع ولبلوغ الكمالات أشدُّ ضرورة من نمو الأهداب والحواجب وتقعر باطن القدم وأمثالها، وذلك لأنه ليس من الممكن أن يوجب الله سبحانه وتعالى تلك الأمور ولايوجب هذا الأمر''.

التقويم:

١. ما هي أعظم مميزات حياة البشر؟

.....

٢. لماذا لا يمكن للأنسان أنْ يعيش بغير قانون؟

.....

٣. هات مثالا حياً لتوضيح دور القانون في حياة البشر؟

.....

٤. ما الصفات التي يجب انْ يتحلى بها أحسن مشرع؟

.....

٥. لماذا يجب أنْ يكون الأنبياء من البشر؟

.....

الصيانة من الاثم والخطأ

لابدّ لكلّ نبيّ أنْ يكون موضع ثقة عموم الناس قبل كل شيء بحيث لا يجدون في كلامه أي احتمال للكذب والخطأ والتناقض. إذ أنَّ مركزه سوف يتزلزل في غير هذه الحالة.

إذا لم يكن الأنبياء معصومين فإنَّ المتذرعين سوف يحتجون لعدم إيمانهم بإمكانية خطأ الأنبياء، كما أنَّ الباحثين عن الحقيقة يتزعزع إيمانهم بصحّة محتوى دعوتهم، فيرفض الطرفان رسالاتهم، أو أنّهم في الاقل، لا يكون تقبلهم لها مصحوباً بحرارة الثقة والايمان.

هذا الدليل الذي يسمى ''**دليل الاعتماد**'' . يعتبر من أهم أدلة عصمة الأنبياء.

وبتعبير آخر: كيف يمكن أنْ يأمر الله الناس أنْ يطيعوا شخصاً غير ملتزم ومعرض للخطأ ولارتكاب المعاصي؟ لأنهم إنْ أطاعوه فقد تابعوا الخطأ والاثم، وان لم يطيعوه فقد نسفوا مقامه كقائد، خاصة أنَّ مركز قيادة الأنبياء يختلف تماماً عن القيادات الأخرى، لأن الناس يستقون منهم جميع عقائدهم وبرامج سلوكهم.

ولهذا نجد كبار المفسرين عندما يصلون إلى هذه الاية: (اطِيْعُوا اللهَ وَاطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الامر مِنْكم) يقولون أنَّ الامر بالاطاعة المطلقة دليل على أنَّ النّبي معصوم وأولى الامر معصومون أيضاً. وأولو الامر هم الائمّة المعصومون(عليهم السلام) مثل عصمة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وإلا لما أمر الله بإطاعتهم طاعة مطلقة أبداً.

الطريق الاخر لاثبات معصومية الأنبياء من كل إثم هو أنَّ ''عوامل إرتكاب الاثم في نفوس الأنبياء محكوم عليها بالهزيمة''.

إنَّنا إذا راجعنا أنفسنا نجد أنَّنا نكاد نكون معصومين من ارتكاب بعض الاعمال السيئة أو القبيحة، لاحظ المثال التالي:

هل تستطيع أنْ تعثر على إنسان عاقل يفكر في أكل جمرة، أو قاذورات؟

هل هناك إنسان عاقل يخرج عارياً تماماً ليسير في الطرقات؟

طبعاً لا، وإذا صدر هذا عن شخص لقلنا فوراً أنه خارج عن حالته الطبيعية وأنَّه مصاب ببعض الامراض النفسية، وإلا فإنَّ من المستحيل أنْ يقدم إنسان مالك لقواه العقلية الكاملة على ذلك.

عندما نحلل أمثال هذه الاعمال نلاحظ أنَّ قبح هذه الاعمال على درجة من الوضوح في أذهاننا بحيث لا يوجد عاقل يرتكبها.

هنا نستطيع بجملة مكثفة أنْ نجسد هذه الحقيقة، فنقول: إنَّ كل عاقل سليم ''مصون'' من ارتكاب بعض الاعمال القبيحة. و بعبارة أخرى، أنَّه ''معصوم'' منها.

ثم نخطو خطوة أخرى فنقول: هناك أشخاص معصومون من ارتكاب بعض الاعمال غير اللائقة التي لايجد الناس العاديون حرجاً في ارتكابها. فمثلا، هذا الطبيب العارف بأنواع الميكروبات لا يمكن أنْ يقبل الشرب من الماء الملوث الناتج عن غسل ملابس المرضى المصابين بمختلف الامراض الفتاكة، في الوقت الذي لا يجد شخص جاهل أُمّي مانعاً من شربه.

وبتحليل بسيط نستنتج أنَّه كلما كان وعي المرء بالنسبة لموضوع ما أعمق، كانت ''عصمته'' ازاء ما ينافي ذلك أكبر.

والأن، بالاستمرار في هذه المعادلة، نقول: إذا كان ''إيمان'' شخص و ''وعيه'' وثقته بالله وبمحكمته العادلة من العمق بحيث أنَّه يكاد يراها متجسدة أمام عينيه و شاخصة أمامه، فإنّه يكون دون ريب مصوناً من ارتكاب أي ذنب، ويرى الاعمال القبيحة كما يرى العاقل الخروج إلى الشارع عارياً قبيحاً.

إنَّ المال الحرام في نظر هذا الشخص أشبه بالجمر الملتهب فكما إنَّنا لأنضعه في فمنا، فهو كذلك لايضع المال الحرام في فمه.

نستنتج من مجموع هذا الكلام أنَّ الأنبياء(عليهم السلام) بما وهبهم الله من علم ووعي وإيمان خارق للعادة يستطيعون أنْ يخمدوا صوت كل دافع للعصيان بحيث أنَّ أقوى المغريات لارتكاب الاثام لاتسطيع أنْ تغلب عقولهم وتضعف إيمانهم. وهذا هو معنى قولنا أنَّ الأنبياء(عليهم السلام) معصومون من كل إثم.

العصمة مدعاة للفخر

بعض الذين لايدركون جيداً معنى العصمة وعواملها يعترضون قائلين: إذا كان الله هو الذي يحول بين الشخص وارتكاب الاثم ويزيل من كيانه عوامل ارتكاب الذنوب، فلايكون هذا مدعاة لفخر هذا الشخص، إذ أنَّ عصمته من الاثم إجبارية، والفضيلة الاجبارية لاتكون مفخرة لاحد.

إنَّ جواب هذا الاعتراض قد جاء في الايضاحات التي مرَّ ذكرها، إنَّ عصمة الأنبياء من الاثم ليست إجبارية مطلقاً، بل هي وليدة إيمان الأنبياء القوي الكامل وعلمهم الذي لا يدانيه علم، وهذا مدعاة لاعظم الفخر!إذا قام الطّبيب بوقاية نفسه من الامراض السارية، فهل يدل هذا على أنه مجبر على ذلك؟ وإذا قام شخص بالتزام قواعد الصحة بدقة تامة، أفلا يدعو هذا إلى اعتزازه وفخره؟

وإذا تجنب حقوقي ارتكاب جريمة ما لكونه يعرف العقوبات القاسية التي تحكم بها المحاكم، فهل يفقد بذلك فضله؟

وبناء على ذلك، فإنَّ معصومية الأنبياء اختيارية، وهي مفخرة عظيمة من مفاخرهم.

التقويم:

١. ماهي تفرعات العصمة؟

.....

٢. ماذا كان سيحدث لو لم يكن الأنبياء(عليهم السلام) معصومين؟

.....

٣. ماحقيقة مقام العصمة؟

.....

٤. هل تستطيع إيراد أمثلة، غير التي وردت في الدّرس يتصف الناس .كلّهم أو بعضهم . بالعصمة من ارتكابها؟

.....

٥. هل عصمة الأنبياء اختيارية أم إجبارية؟ ما الدليل على ذلك؟

.....

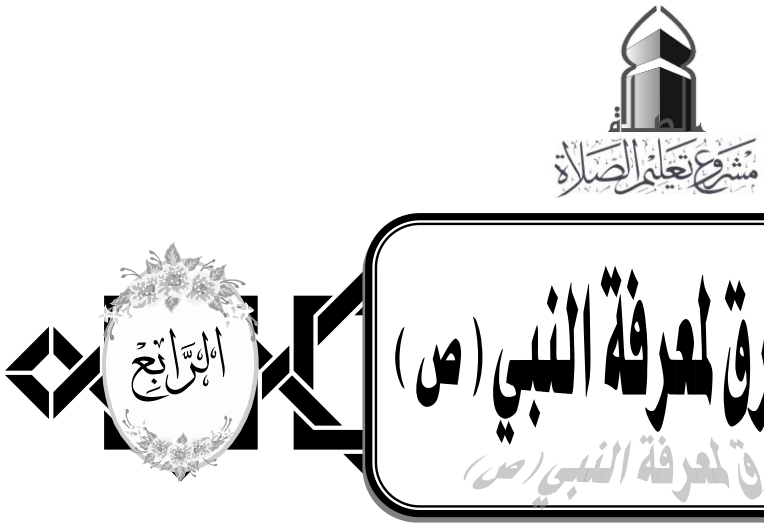

لاشك أنَّ تصديق إدعاءات كل مدع يعتبر خلاف العقل والمنطق. إنَّ مدعي النّبوة وحمل رسالة الله قد يكون صادقاً، إلا أنَّ من المحتمل أنْ يقوم أحد الأنتهازيين النّصابين بإدعاء النّبوة، لذلك كان لابدّ من وجود معيار دقيق نزن به دعوات الأنبياء وصحة إرسالهم من قبل الله.

هناك طرق عديدة للوصول إلى هذه الغاية، أهمها:

١. دراسة محتوى رسالة النّبي ودعوته، وتجميع القرائن والدّلائل.

٢. معجزاته الخارقة للعادة.

ولنبدأ أوّلا بالكلام عن الاعجاز فنقول:

ثمّة أشخاص يتعجبون من كلمة ''معجزة'' ويعتبرونها مرادفة للخرافات والاساطير. ولكننا إذا دققنا النظر في معنى المعجزة العملي لوجدنا أنَّ هذه التصورات خطأ محض. فليست المعجزة عملا مستحيلا، ولا معلولا دون علّة، بل المعجزة بتفسير بسيط، هي عمل خارق لعادة ممّا هو فوق قدرات الافراد العاديين، ولاتتحقق إلا بالاستناد إلى قوة فوق الطبيعة. وبناء على ذلك لاتكون المعجزة إلا بشروط:

١. إنَّها عمل ممكن ومقبول عقلا.

٢. الناس العاديون، وحتى النوابغ منهم، ليس بمقدورهم أنْ يقوموا بمعجزة باستخدام القدرات البشرية.

٣. لابدّ أنْ يكون صاحب المعجزة واثقاً من نفسه بحيث أنَّه يتحدى الناس ويدعونهم لمنافسته.

٤. أنْ لا يستطيع أي شخص الاتيان بمثل تلك المعجزة، أي أنْ يعجز الاخرون عن القيام بمثلها، كما يفهم من معنى الكلمة.

٥. المعجزة لابدّ أنْ تأتى ممن يدعى النّبوة والامامة ولذلك فإنَّ الاعمال الخارقة للعادة التي يأتى بها غير الأنبياء والائمة تدعى كرامات، لامعجزات.

بعض الامثلة الواضحة

نعلم جميعاً أنَّ من معجزات النّبى عيسى(عليه السلام) إحياء الموتى وإبراء المرضى الميؤوس منهم.
هل هناك أي دليل عملي وعقلي يثبت أنَّ الإنسان الذي تتوقف أجهزة جسمه عن العمل والحركة لا يمكن أنْ يعود إلى الحياة مرّة أخرى؟
هل هناك دليل علمي و عقلي على أنَّ مرض السرطان الذي عجزنا عن شفائه ليس له في الحقيقة أي علاج؟
صحيح أنَّ الإنسان بما يملكه في الوقت الحاضر من قوى وبما هو فيه من ظروف غير قادر على إحياء الموتى ولا إبراء بعض الامراض. حتى وإنْ تضافر جميع أطباء العالم واستعانوا بما لديهم من خبرات وتجارب.
إلا أن هذا لا يمنع من أنْ يقول إنسان يملك قوة إلهية خارقة للعادة واطلاعاً وعلماً يستقيان من بحر علم الله اللامتناهي، باحياء ميت، أو بابراء مريض، باشارة من يده. العلم يقول: لا أدرى. أنا عاجز. ولكنه لن يقول أنَّ ذلك مستحيل.
مثال آخر: إنَّ الوصول إلى القمر بدون سفينة فضائية غير ممكن لاي إنسان. ولكن ما الذي يحول دون أنْ تكون هناك قوّة أكبر ممّا عندنا من قوّة، ومركبة أكثر تقدماً ممّا لدى البشر، توضع تحت تصرف شخص بحيث يتاح له أنْ يرحل إلى القمر أو إلى الكرات الأخرى بغير سفينة فضائية والمركبة القمرية.
فاذا استطاع أحد أنْ يقوم حقّاً بمثل هذه الأمور الخارقة للعادة، وادعى النّبوة وتحدى الناس إلى أنْ يفعلوا مثله، فعجز الجميع عن ذلك، عندئذ نؤمن بأنَّه مرسل من قبل الله، إذ لا يمكن أنْ يضع الله كل هذه القدرة في يد إنسان كذّاب يدعو الناس إلى الضلال، فتأمل!

معجزات ولست خرافات

كان ''الافراط'' و ''التفريط'' دائماً منشأ الفساد والضياع والخفاء وجه الحقيقة.
وهذا يصدق على المعجزة أيضاً. ففي الوقت الذي نجد فيه بعضاً من ''المتنورين'' ينكرون صراحة أو تلميحاً أنواع المعجزات، نجد بعضاً آخر يصنعون من كل شيء معجزة، فيبحثون عن الاخبار الضعيفة والقصص الخرافية التي صاغتها أيدى الاعداء ويعرضونها زاعمين أنَّها معجزات، فيخلطون ملامح معجزات الأنبياء العلمية

والحقيقية بالخرافات والاوهام المزيفة التي لا أساس لها من الواقع. فما لم تتطهر المعجزات الحقيقة من المثال هذه الاساطير، فإنَّ ملامحها الأصيلة لن تظهر للعيان.

لهذا ما فتىء علماؤنا العظام يعنون بأنَّ تبقى الاحاديث الاسلامية التي تدور حول المعجزات بعيدة عن أمثال تلك الحكآيات المزيفة المدسوسة.

وبناء على ذلك وضعوا الكتب في ''علم الرّجال'' للتعرف على الرّواة الموثوق بهم، ولتمييز الاحاديث''الصحيحة'' من ''الضعيفة'' ولئلا تختلط الحقائق بالاوهام.

إنَّ السياسات الاستعمارية والالحادية نشطة اليوم لجعل الافكار الواهية تقوم مقام العقائد الدّينية الطّاهرة وتسعى لاظهارها بمظهر ''معتقدات غير علمية'' فعلينا أنْ نحبط مساعي الاعداء التخريبية.

اختلاف المعجزات عن الخوارق والعادات الأخرى

كثيراً مانسمع عن أصحاب الرّياضيات الرّوحية أنَّهم قاموا بأعمال خارقة للعادة، وأنَّ الذين شهدوا تلك العجائب كثيرون وهذا حقيقة لا أسطورة.

هنا يتبادر إلى الذّهن هذا السّؤال: ما الفرق بين أعمال هؤلاء الخارقة للعادة ومعجزات الأنبياء؟ وكيف التمييز بينهما؟

لهذا السّؤال أجوبة كثيرة، أوضحها جوابان:

١. هؤلاء المرتاضون يقومون بأعمال خارقة للعادة معينة ومحدودة، أي أنَّهم لا يمتثلون لمقترحات المقترحين حين بالقيام بأعمال يطلبها منهم هؤلاء. إنَّما هم يقومون بما يعرفون هم كيف يجدونه بسبب كثرة التمرين. وسبب هذا واضح، إذ أنَّ قوى كل شخص محدودة، فهو لا يستطيع أنْ يقوم إلا بعدد محدود من الاعمال. أمّا معجزات الأنبياء(عليهم السلام) فليست لها حدود ولا شروط. فهم قادرون على الاتيان بمعجزة بحسب اقتراح الطالب وفي أي وقت، لأنهم يستندون إلى قوّة الله اللامتناهية، وهي التي لا تحدها حدود، بخلاف قدرات الإنسان.

٢. العمل الذي يقوم به أحد المرتاضين يستطيع يقوم به مرتاض آخر، أي أنَّه ليس خارجاً عن قدرة البشر. ولهذا فإنَّ المرتاض لن يتحدى أحداً بطلب المنافسة، لأنه يعلم أنّه لابدّ أنْ يكون في أطراف المدينة شخص أو أشخاص قادرون على الاتيان بمثل ما يفعل. أمّا الأنبياء(عليهم السلام) فانهم يتحدون الناس بكل ثقة واطمئنان، قائلين:''لو اجتمع أهل الارض جميعاً على أنْ يأتوا بمثل مانأتي لعجزوا.''

هذا الاختلاف يصدق في ''السّحر'' أيضاً، فالاختلافان اللذان ذكرناهما يضعان الحدّ بين المعجزة والسّحر أيضاً، فتأمل.

التقويم:

١. لماذا تسمى ''المعجزة'' معجزة؟

.....

٢. هل المعجزة استثناء في قانون العلّة والمعلول؟

.....

٣. ما الطريق التي بها نستطيع ان نميز المعجزة عن أعمال المرتاضين والسحرة؟

.....

٤. ماهي الشروط الأصيلة في المعجزة؟

.....

٥. هل سبق لك ان شاهدت عملا يشبه المعجزة في حياتك؟

.....

يعتقد جميع علماء الاسلام أنَّ القرآن الكريم أعظم معجزات نبيّ الاسلام. إنَّ أفضلية القرآن آتية من كونه.

أوّلا: معجزة عقلية تتعامل مع أرواح الناس وأفكارهم.

وثانياً: من كونه معجزة خالدة أبداً.

وثالثا: من كونه معجزة قد مضى عليها أكثر من أربعة عشر قرناً وهي تتحدى البشر كافة منادية: إذا كنتم تزعمون أنَّ هذا الكتاب السماوى ليس من عند الله فأتوا بمثله. وقد جاء هذا التحدى مرّات عديدة في القرآن الكريم:

(قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الأنسُ وَالجِنُّ عَلَى أنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآنِ لا يَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كانَ بَعْضُهُم لِبَعْض ظَهير)

وفي موضع آخر يقول:

(أمْ يَقُولُونَ افْتَريهُ قُلْ فَأتُوا بِعَشْرِ سُوَر مِثْلِهِ مُفْتَرَيَات وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كنْتُم صادِقِينَ)

ثمّ يضيف مباشرة قائلا:

(فَإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكم فَاعْلَمُوا أنّما أنْزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ)

ثم يسهّل شروط التحدي فيقول:

(وَإنْ كنْتُم في رَيْب مِمّا نَزَّلنَا عَلَى عَبْدِنا فَأتُوا بِسُورَة مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكم مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كنْتُم صادِقِينَ)

وفي الاية التالية يقول:

(فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتّقُوا النَّارَ التي وَقُودُها النّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلكافِرِينَ)

إنَّ هذه التّحديات المتتالية لمواجهة المنكرين إنْ دلّت على شيء فإنّما تدل على أنَّ أكثر استناد النّبى(صلى الله عليه وآله) كان على إعجاز القرآن، على الرّغم من أنَّه كانت له معجزات أخرى أيضاً حسبما ورد في كتب

التاريخ. وبما أنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الحيّة الموجودة في متناول أيدينا فسيكون هو موضوع دراستنا وبحثنا.

كيف عجزوا عن قبول التحدى ؟

ممّا يلفت النظر أنَّ القرآن الكريم أصرّ على منكريه للنزول إلى ميدان المنافسة، مستعملا تعبيرات مهيجة مثيرة، لكيلا يبقى عذر لاحد، تعبيرات مثل (إنْ كنْتُم صادِقِينَ) و (فَإنْ لَم تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا)و (لا يَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوكانَ بَعْضُهُم لِبَعْض ظَهير) و (فَأتُوا بِسُورَة مِنْ مِثْلِهِ) و (فَاتّقُوا النّارَ التي وَقُودُهَا النّاسُ).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن الصّراع بين الرّسول الكريم(صلى الله عليه وآله)والكفار صراعاً سهلا، إذ أنَّ الاسلام لم يكن تهديداً لديانتهم ومعتقداتهم المرتكزة في نفوسهم، فحسب، بل كان خطراً على مصالحهم الاقتصادية والسياسية وحتى على كيانهم.

وبعبارة أخرى، كان انتصار الاسلام يحيل حياتهم كلّها إلى ركام، لذلك لم يكن أمامهم سوى النزول إلى ميدان الصراع بكل مالديهم من قوّة.

ولكي يجردوا نبيّ الاسلام(صلى الله عليه وآله) من أقوى سلاح عنده، كان عليهم أنْ يأتوا ـ بأي ثمن كان ببضع آيات مثل آيات القرآن لكيلا يتحداهم به بعد ذلك ويصفهم بالعجز أمام هذا الدليل القوي على صدقه وأحقّيته. فحشدوا لذلك فصحاء العرب وبلغاءهم ولكنهم كلما دخلوا الميدان باءوا بهزيمة منكرة ونكصوا على أعقابهم هاربين. وقد جاءت تفاصيل ذلك في كتب التاريخ.

حكاية الوليد بن المغيرة

من بين الذين دعوا لقبول تحدى القرآن كان الوليد بن المغيرة من بني مخزوم، وكان معروفاً بين العرب بفكره الصائب وحسن تدبيره، فطلبوا منه أنْ يشير عليهم بتدبير ليرى رأيه في آيات القرآن العجيبة و تأثيرها الشديد في الناس.

فجاء الوليد إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وطلب منه أنْ يقرأ له بعض آيات من القرآن، فتلى عليه النّبى الاكرم(صلى الله عليه وآله) بضع آيات من سورة ''حم'' السجدة، فأثارت هذه الايات في الوليد انفعالات عارمة بحيث أنَّه انطلق عائداً إلى حيث كان بنو مخزوم مجتمعين وقال لهم :''والله لقد سمعت كلاماً لا هو يشبه كلام البشر ولا كلام الملائكة وأنَّ له لحلاوة وأنَّ عليه لطلاوة وأنَّ أعلاه لمثمر وأنَّ أسفله لمغدق وأنَّه يعلو ولايعلى عليه''.

وشاع في أوساط قريش أنَّ وليداً قد عشق محمّداً! فهرع أبو جهل إليه وأخبره بما تقول قريش، ودعاه إلى حضور مجلسهم، فصحبه الوليد إليهم وقال لهم: أتحسبون أنَّ بمحمد جُنَّة؟ أرأيتم عليه منها أثراً؟ فقالوا: كلا. فقال: أترونه كاذباً؟ ألم يشتهر بيننا بالأمانة والصدق حتى سميتموه الصادق الامين؟ فقال بعض سراة القوم: فماذا ننسب إليه إذن؟ ففكر الوليد برهة ثمّ قال لهم: قولوا أنَّه لساحر!

الرّغم من أنّهم كانوا بإطلاق هذه الصفة عليه يريدون أنْ يبعدوا عنه الناس الذين سحرتهم آيات القرآن، فان إطلاق تعبير ''السحر'' يدلّ دلالة قاطعة على قوة جاذبية القرآن، وأنَّهم أطلقوا كلمة ''السحر'' على تلك الجاذبية، وإنْ لم تكن سحراً في الواقع. فراحت قريش تشيع مقولة الوليد في كل مكان عن أنَّ محمداً ساحر ماهر، وأنَّ الايات من سحره، وطلبوا من الناس الابتعاد عنه وأنْ لا يستمعوا إلى ما يقول.

إلا أنَّ خطتهم هذه لم تفلح، وراح المتعطشون إلى الحقيقة المنتشرون في الزوايا والحنايا يفِدون على رسول الله(صلى الله عليه وآله) زرافات ووحداناً، يرتوون من معين الرسالة الإلهية الرائق، ونكص الاعداء على أعقابهم. واليوم أيضاً ما يزال القرآن يتحدى العالم بأسره ويطلبهم للمبارزة، قائلا: إنْ كنتم ترتابون في صحة نسبة هذه الايات إلى الله، وتعتقدون أنَّها من صنع أفكار البشر، فأتوا بمثلها، أيها العلماء والفلاسفة والادباء والكتاب من كلّ قوم وملّة!

وليس خافياً إنَّ أعداء الاسلام وبخاصّة رجال الدين المسيحيين الذين يعتبرون الاسلام كدين ثوري عميق المحتوى منافساً خطيراً لهم، فيصرفون سنوياً ملايين الملايين من الدّولارات للدعاية ضد الاسلام وفي البلدان الاسلامية نفسها تحت واجهات مزيفة من ثقافية وعليمة وصحية، فما أحراهم أنْ يطلبوا من العلماء المسيحيين العرب وشعرائهم وأدبائهم وفلاسفتهم أنْ يُنشِئوا آيات كآيات القرآن إن هم استطاعوا إلى ذلك سبيلا ليسكتوا صوت الاسلام. لاشك لو أنَّ شيئاً كهذا كان ضمن قدراتهم لما توانوا في تحقيقة بأي ثمن كان. غير أن عجزهم في هذا الامر لدليل أسكت الاعداء وبرهان ناطق على إعجاز القرآن.

التقويم:

١. لماذا يعتبر القرآن أهم معجزة من معجزات نبيّ الاسلام(صلى الله عليه وآله)؟

.....

٢. كيف يتحدى القرآن أعداءه؟

.....

٣. لماذا أطلق أعداء الاسلام صفة ''السحر'' على القرآن؟

.....

٤. لماذا يعتبر الاسلام منافساً عنيداً للمسيحية اليوم؟

.....

٥. ما حكاية الوليد بن المغيرة؟

.....

سر الحروف المتقطعة

نلاحظ في أوائل عدد من سور القرآن بعض ''الحروف المقطعة'' مثل ''ألم'' و ''ألمر'' و ''يس''.

تقول بعض الروآيات الاسلامية أن واحداً من أسرار هذه الحروف المقطعة هو أنَّ الله يريد أن يرينا كيف أن هذه المعجزة الخالدة العظيمة، ''القرآن العظيم'' قد بنيت من حروف الالف باء البسيطة التي تعتبر من أبسط مواد البناء! وكيف أنَّ هذا الكلام الرائع العظيم قد تألف من هذه الحروف التي يستطيع التكلم بها حتى الاطفال الصغار. لاشك إذن في أنَّ ظهور هذا الامر العظيم من هذه المواد البسيطة إعجاز لا يُدانيه إعجاز.

هنا يتبادر للذهن سؤال: من أية ناحية يكون إعجاز القرآن؟ أمن حيث البلاغة والفصاحة، أي من حيث حلاوة عباراته ودخولها إلى القلب بنفوذ عجيب، أم أنَّ هناك جوانب أخرى لاعجازه؟

الحقيقة هي أنَّك من أية زواية نظرت إلى القرآن لطالعتك بإمارات إعجاز واضحة. من ذلك مثلا :

١. الفصاحة والبلاغة: هنا تجد حلاوة الالفاظ والجاذبية العجيبة التي تتجلى لك في المعانى والمفاهيم.

٢. المحتوى الرفيع وخاصة العقائد البعيدة عن كل انحراف.

٣. المعجزات العلمية، فالقرآن يكشف الستار عن مسائل علمية لم يكن الإنسان قد اكتشفها يومذاك.

٤. الاخبار عن الغيب والتنبؤ بحدوث بعض الحوادث في المستقبل.

٥. عدم وجود التضاد ولا الاختلاف ولا التّشتت.

الفصاحة والبلاغة

لكل كلام جانبان، ''الفاظه'' و ''محتواه'' .عندما تكون الالفاظ والكلمات جميلة ولائقة وتتميز بالأنسجام والترابط اللازم وخالية من التعقيد، ويوصل تركيب الجمل المعنى المراد بدقّة تامّة وبطريقة مقبولة وجذابة قيل عن ذلك الكلام أنَّه فصيح وبليغ.

وفي القرآن يتجسد هذان الجانبان تجسداً لامزيد عليه، بحيث أنَّ أحداً لم يستطع حتى الأن أنْ يأتي بآيات وسور تضاهي آياته وسوره من حيث الجاذبية والحلاوة والتناغم.

قلنا في درس سابق أنَّ الوليد بن المغيرة، منتخب مشركي العرب، هاجت مشاعره وانفعل عند سماع بضع آيات من القرآن، ولم يتوصل تفكيره العميق إلى إلصاق أي تهمة به إلا أن يصفه بالسحر وإلا أنْ يصف رسول الله بالساحر!

وعلى الرّغم من أنَّهم راحوا يكررون إلصاق صفة السحر بآيات القرآن على سبيل الذم والتنديد، إلا أنَّ ذلك كان في الواقع مدحاً وتكريماً، إذ أنَّ فيه اعترافاً ضمنياً بسيطرة القرآن الكريم الخارقة للعادة على السامع ونفوذه إلى أعماقه. بحيث إنَّك لاتستطيع أنْ تفسر ذلك تفسيراً عادياً، إلا أنْ تقول أنَّ فيه جاذبية غامضة مجهولة. ولكنهم بدلا من أنْ يتقبلوا تلك الحقيقة ويعتبروها معجزة فيؤمنوا بها، انحرفوا عن جادة الصواب وقالوا إنَّها سحر وأساطير.

يذكر لنا التاريخ أمثلة كثيرة عن أشخاص من غلاظ شداد كانوا يفدون على رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وما أنْ يستمعوا إلى بضع آيات منه حتى يتغير حالهم وتشرق شمس الايمان في قلوبهم، الامر الذي يدل بوضوح على أنَّ ما في القرآن الكريم من فصاحة وبلاغة معجز. بل إنَّنا في أيامنا هذه نجد العارفين بآداب اللغة العربية كلما كرروا تلاوة القرآن الكريم ازداد إحساسهم بما فيه من حلاوة وما يثيره فيهم من لذّة بحيث أنَّهم لا يتعبون من تكرار تلاوته. تتصف العبارات القرآنية بالدقة المتناهية المحسوبة، فالقرآن عف البيان متين البنيان، وهو في الوقت نفسه ناطق صريح، وصارم شديد عند الاقتضاء.

ولابدّ من الاشارة إلى أنَّ العرب مذاك كانوا قمة في الفنون الادبية من شعر ونثر وصناعة كلام، ومازالت قصائد من الشعر الجاهلي تعتبر من أرفع الشعر، وكان سوق عكاظ موضعاً يجتمع فيه فطاحل الشعراء كلّ سنة ينشدون فيه أشعارهم ويتنافسون في أجودها، ويختارون أفضلها طراً ويعلقونها على جدار الكعبة باعتبارها خير قصيدة قيلت في تلك السنة. وعند ظهور الدّعوة الاسلامية كانت هناك سبع قصائد معلقة على حائط الكعبة، اطلق عليها اسم ''المعلقات السبع''. ولكن بعد نزول القرآن لم يبق لتلك المعلقات أي لون ولا طعم، فأزيلت الواحدة بعد الأخرى وطواها النسيان.

ولقد سعى المفسرون جهد طاقاتهم للاشارة إلى دقائق الابداع الإلهي العجيبة في القرآن، فيمكن الرجوع إلى تلك التفاسير للتوسع في الاطلاع. إنَّ معرفة القرآن تؤكد أنَّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) لم يبالغ حين قال:''ظاهره أنيق وباطنه عميق لاتحصى عجائبه ولاتبلى غرائبه''.

والامام علي أمير المؤمنين(عليه السلام)، تلميذ مدرسة القرآن العظيم، يقول في نهج البلاغه واصفاً القرآن:''فيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره.

التقويم:

١. ماهي فلسفة الحروف المقطعة في القرآن؟

.....

٢. هل القرآن معجزة من جانب واحد، أم من عدة جهات؟

.....

٣. لماذا اطلق أعداء النّبي عليه صفة الساحر؟

.....

٤. ماالفرق بين الفصاحة والبلاغة؟

.....

٥. متى كانت ''المعلقات السبع''؟ وما معناها؟

.....

قبل كل شيء ينبغي أنْ نتعرف على المحيط الذي نزل فيه القرآن على الصعيدين الفكري والثقافي.

يجمع المؤرخون على أنَّ أرض الحجاز كانت من أكثر بلدان العالم تخلفا بحيث أنَّهم كانوا يعبرون عن سكانها بأنَّهم متوحشون أو شبه متوحشين. كانوا متمسكين بعبادة الاصنام تمسكاً شديداً، يصطنعونها من الحجر والخشب بأشكال متنوعة، فكانت تلقى بظلها المشؤوم على كل ثقافتهم، حتى قيل أنَّهم كانوا يصنعون الاصنام من التمر ويسجدون لها، ولكنهم إذا مستهم المسغبة أكلوها!

وعلى الرغم من كرههم البنات بحيث أنَّهم كانوا يئدونهن أحياء فإنّهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله. ويتنزلون بالله إلى حدّ اعتباره إنساناً مثلهم. كانوا ينتابهم العجب من التوحيد وعبادة إله واحد. وعندما دعاها نبي الاسلام إلى عبادة الله الاحد، قالوا بدهشة: (**أَجَعَلَ الالِهَةَ إلهاً وَاحِداً إنَّ هذا لَشيء عُجَابٌ**)، وكانوا يلصقون صفة الجنون بكل من يخالف خرافاتهم وأساطيرهم المزيفة ويتعرض لمعتقداتهم الواهية.

كان النظام القبلي هو السائد على المجتمع، حيث المنازعات القبيلة كانت على أشدها، حتى أنَّ نار الحروب لم تخمد يوماً بينهم، وكثيراً ما اصطبغت أرضهم بالدماء، ويفتخرون بالقتل والنهب والسبى.

وإذا ظهر بينهم من يعرف القراءة والكتابة أصبح ناراً على علم، وكان من النادر أنَّ تعثر بينهم على عالم مفكر.

هذا هو المحيط الذي بزغ فيه إنسان أُمّي لم يدخل مدرسة ولا رأى معلماً، ولكنه أتى بكتاب عميق المحتوى إلى درجة أن العلماء والمفسرين ما يزالون بعد أربعة عشر قرناً مشغولين باستكناه معانيه واستخراج حقائق جديدة منه لا تنتهي.

إنَّ الصورة التي يرسمها القرآن الكريم لعالم الوجود ونظامه صورةً دقيقة مدروسة، فيعرض التوحيد بأكمل حالاته، ويعرض أسرار خلق الارض والسماء والليل والنهار والشمس والقمر والنباتات والاشجار والإنسان على أنَّ كلا منها آية تدل على وحدانية الله الاحد.

ويتعمق أحياناً في أغوار النفس الإنسانية ويتحدث عن التوحيد الفطري، فيقول: (**فَإذا رَكِبُوا في الفُلْك دَعَوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ فَلَّما نَجّاهُم إلى البَرِّ إذا هُم يُشْرِكونَ**) وقد يسلك سبيل العقل والمنطق لاثبات

التوحيد مستنداً إلى السير في الافاق وفي الأنفس، ومذكراً بأسرار خلق السموات والارض والحيوانات والجبال والبحار، وهطول الامطار، وهبوب الرياح ودقائق أعضاء الإنسان: (**سَنُرِيْهِم آياتنا في الافَاقِ وَفي أنْفُسِهِم**) وعند الكلام عن صفات الله يختار أعمقها وأجلبها للنظر، فيقول: (**لَيْسِ كمِثْلِهِ شيء**). وفي مواضع أخرى يقول: (**هُوَ اللهُ الذي لا إلهَ إلا هُوَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرّحمنُ الرّحيمُ * هُوَاللهُ الذي لا إلهَ إلا هُوَ المَلك القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤمِنُ المُهيمِنُ العَزِيزُ الجَبارُ المُتَكبِّرُ سُبحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكونَ * هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِىءُ المُصَوِّرُ لَهُ الاسْماءُ الحُسنى يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّمواتِ وَالارض وَهُوَ العَزِيْزُ الحَكيْمُ**). ويعبر تعبيراً جميلا عن وصف علم الله ولا محدوديته، فيقول: (**وَلَو أنّما في الارض مِنْ شَجَرِة أقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُر ما نَفِدَتْ كلِماتُ اللّهِ إنّ اللّهَ عَزِيْزٌ حَكيمٌ**)، وعن إحاطة الله بكل شيء وحضوره في كل مكان، يقول:(**وَللهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأينَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ**)، (**وَهُوَ مَعَكم أينَ ما كنْتُم وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)، وعندما يدور الكلام حول البعث ويوم القيامة، يواجه دهشة المشركين وإنكارهم بقوله: (**قَالَ مَنْ يُحيي العِظَامَ وَهي رَمِيمٌ * قُلْ يُحييها الذي أنْشَأهَا أوّلَ مَرّة وَهُوَ بِكلِّ خَلْق عَلِيمٌ * الذي جَعَلَ لَكم مِنَ الشَّجَرِ الاخْضَرِ ناراً فَإذا أنْتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ * أوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمواتِ وَالارض بِقادِر عَلى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلى وَهُوَ الخَلاقُ العَلِيمُ * إنّما أمْرُهُ إذا أرَادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كنْ فَيَكونُ**).

في تلك الايام التي لم يكن فيها قد تمّ اكتشاف التصوير وتسجيل الاصوات، يقول القرآن الكريم بشأن أعمال الإنسان: (**ومَئِذ تُحَدِّثُ أخْبَارَها * بِأنَّ رَبَّك أوحى لَه**)، وقد يتحدث عن شهادة أعضاء الإنسان فيقول: (**اليَومَ نَخْتِمُ عَلَى أفْواهِهِم وَتُكلِّمُنا أيدِيهِم وَتَشْهَدُ أرْجُلُهُم**)، (**وَقَالُوا لِجلُودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَينا قَالُوا أنْطَقَنا اللهُ الذي أنْطَقَ كلَّ شيء**).

إنَّ قيمة العلوم القرآنية وعظمة محتواها وخلوها من الخرافات لا تتضح إلا إذا وضعت إلى جانب التّوراة والأنجيل المحرفتين للمقارنة بينهما، لنرى ماتقول التّوراة بشأن خلق آدم وما يقول القرآن الكريم بهذا الشأن، وماذا تقول التّوراة بشأن الأنبياء وما يقوله القرآن المجيد، وما تقوله التوراة والأنجيل في وصف الله، وما يقوله القرآن في ذلك. عندئذ يتبين الفرق واضحاً بينهما.

التقويم

١. ماذا كانت خصائص المحيط الذي ظهر فيه القرآن؟

.....

٢. ما تأثير عبادة الاصنام في أفكار الناس؟

.....

٣. ما الفرق بين التوحيد الفطري والاستدلالي؟

.....

٤. كيف يصف القرآن الكريم الله عزّوجلّ ويعرّفه؟ مثّل لذلك.

.....

٥. ما أفضل الطرق لمعرفة محتوى القرآن؟

.....

لا شك أنَّ القرآن ليس كتاباً من كتب العلوم الطّبيعية أو الطّبية أو النّفسية أو الرّياضية. القرآن كتاب يهدى الإنسان ويصنعه، فهو لا يترك شيئاً ضرورياً في هذا السبيل إلا وأتى به. لذلك ليس لنا بالطّبع أنْ نرى في القرآن دائرة معارف عامّة، بل لنا أن نجد فيه نور الايمان والهداية والتقوى والإنسانية والأخلاق والنظام والقانون، فهو يضم كل هذه الأمور.

غير أن القرآن، للوصول إلى هذه الاهداف، يشير أحياناً إلى جانب من العلوم الطبيعية وأسرار الخلق و عجائب عالم الوجود وخاصة خلال بحوث التوحيد والاستدلال بنظام الكون، فيرفع الستار عن بعض أسرار عالم الخلق ويكشف أموراً لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً يومذاك وفي ذلك المحيط، حتى العلماء منهم. هذه البيانات تجتمع تحت عنوان معجزات القرآن العلمية،

نشير إلى بعض منها في ما يلى:

القرآن وقانون الجاذبية

لم يكن أحد قبل (نيوتن) يعرف شيئاً عن قانون الجاذبية العام. من المعروف أنَّ (نيوتن) هذا كان يوماً جالساً تحت شجرة تفاح، فسقطت تفاحة من الشجرة على الارض، فاستولى هذا الحدث الصغير على كل تفكيره وأمضى سنوات يفكر في القوة التي جذبت التفاحة إليها. لماذا لم تسقط إلى السماء؟ وبعد سنوات توصل إلى وضع قانون الجاذبية الارضية التي تقول:"تتجاذب الكتلتان بنسبة طردية مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة بين مركزي ثقليهم". على أثر صياغة هذا القانون اتضح وضع المنظومة الشمسية.

لماذا تدور هذه الكواكب العظيمة كلّ في مدار حول الشمس؟ لماذا لا تهرب من هذا المدار و تنطلق في كل اتجاه؟ لماذا لا تتراكم بعضها فوق بعض؟ ما هذه القوّة التي تمسك هذه الاجرام في مدارات دقيقة في هذا الفضاء الشاسع، دون أنْ تتجاوزها حتى بمقدار رأس الابرة؟

اكتشف (نيوتن) أنَّ حركة الجسم الدائرية تجعله يبتعد عن المركز، و قانون الجاذبية يجذبه إلى المركز، فإذا ما تعادلت هاتان القوتان، القوة الطاردة عن المركز، والقوة الجاذبية نحو المركز، أي إذا

أوجدت ''الكتلة'' و''المسافة'' من القوة ''الجاذبة إلى الداخل'' والقوّة ''الطاردة إلى الخارج'' مقادير متعادلة، بقي الجسم يدور فى مداره ولا يتعداه. غير أنَّ القرآن قبل أكثر من ألف سنة من اكتشاف هذه القوانين قال في الاية الثّانية من سورة الرّعد: (اللهُ الذي رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَد تَرَونَها ثُمَّ استَوى عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كلٌّ يَجْرِى لاجَل مُسَمًّى يُدَبِّرُ الامر يُفَصِّلُ الايات لَعَلَّكم بِلِقَاءِ رَبِّكم تُوقِنُونَ)، وقد جاء في تفسير هذه الاية عن الامام علي بن موسى الرّضا(عليه السلام) قوله:''أليس الله يقول بغير عمد ترونها؟ قلت: بلى. قال: ثَمّ عمد لكن لا ترونه''. أهناك تعبير أوضح وأبسط في الادب العربي من هذا القول عن قوّة الجاذبية: أعمدة غير مرئية، ليفهمه عامّة الناس؟

وفي حديث عن الامام على أميرالمومنين(عليه السلام) نقرأ: ''هذه النجوم التي في السّماء مدائن مثل المدائن التي في الارض مربوطة كل مدينة إلى عمود من نور''.

يقول العلماء المعاصرون أن بين نجوم السماء نجوماً كثيرة تسكنها كائنات حيّة وعاقلة، وإنْ لم يكتشفوا بعد تفاصيلها.

دوران الارض حول نفسها وحول الشمس

يقول التاريخ أنَّ (غاليليو) الايطالي كان أوّل من اكتشف دوران الارض حول نفسها قبل نحو أربعة قرون، بينما كان العلماء قبله يؤمنون بنظرية بطليموس المصري القائلة أن الارض هي مركز الكون وأنَّ جميع الاجرام الأخرى تدور حولها. وكان جزاء (غاليليو) على اكتشافه العملي هذا أنَّ حكمت الكنيسة بكفره، ولم ينج من الموت إلا بإظهار الندم على اكتشافه ذاك. غير أن علماء آخرين تابعوا نظريته وأكدوها بحيث أنها أصبحت اليوم من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان، بل لقد ثبت بالتجارب الملموسة أنَّ الارض تدور حول نفسها، وخاصّة بعد التحليقات الفضائية الاخيرة. وعليه فقد فقدت الارض مركزيتها بالنسبة للكون بعد أنْ تبين إنَّنا كنا من قبل ضحية خطأ حواسنا، فكنا نخلط حركة الارض بحركة مجموعة الثوابت والسيارات. إنَّنا نحن الذين نتحرك، وكنا نعتبرها هي التي تتحرك. على كل حال، لقد سيطرت نظرية بطليموس نحو ألف و خمسمائة سنة على عقول العلماء. وعند ظهور القرآن لم يكن أحد يجرؤ على القول بخلاف ذلك. ولكننا إذا رجعنا إلى آيات القرآن نجد أنَّه في الاية ٨٨ من سورة ''النمل'' يتحدث عن حركة الارض فيقول: (وَتَرى الجِبَالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الذي أَتْقَنَ كلَّ شيء إِنّهُ خَبِيْرٌ بِما تَفْعَلُونَ)، هذه الاية تشير بوضوح إلى حركة الجبال مع إنَّنا نراها ساكنة جامدة. إنَّ تشبيه حركتها بحركة السحاب يفيد السرعة مع الهدوء.

أمّا التعبير عن حركة الارض بحركة الجبال، فهو لكي يبيّن أهمية الموضوع، إذ لا حركة للجبال بغير حركة الارض من تحتها، أي إنَّ حركتها هي حركة الارض نفسها، سواء أكان المقصود دورانها حول نفسها، أم حول الشمس، أم كليهما. تصور الأن عصراً كانت فيه جميع المحافل العلمية في العالم والإنسان العادي، يؤمنون

بنظرية سكون الارض ودوران الشمس والكواكب الأخرى حولها، ألا يكون الاخبار بحركة الارض بهذا البيان معجزة علمية؟ خاصّة أنَّ المخبر إنسان أمّي لم يدخل مدرسة، بل أنَّه نشأ في محيط متخلف لا مدرسة فيه ولا تعليم. أفلا يكون هذا دليلا على كون القرآن كتاباً سماوياً؟

التقويم

١. ما المقصود بمعجزات القرآن الكريم العلمية؟

.....

٢. من اكتشف قانون الجاذبية؟ ومتى كان ذلك؟

.....

٣. في أية آية يخبر القرآن الكريم عن قانون الجاذبية العام وكيف يعبر عن ذلك؟

.....

٤. من قال بـ سكون الارض؟ ومن الذي اكتشف حركتها، وكم ظلت تلك الفرضية تسيطر على العلماء؟

.....

٥. في أية آية يخبر القرآن الكريم عن حركة الارض؟ وكيف يعبر عن ذلك؟

.....

هناك طريق آخر غير طلب المعجزة لاثبات صحة دعوى النّبوة أو عدمها، وهو طريق يعتبر بحد ذاته دليلا حياً آخر للوصول إلى الهدف المنشود، وذلك هو دراسة القرائن التالية وتوفر عدد منها في مدعي النّبوة:

١. مميزاته الأخلاقية وتاريخه الاجتماعي.
٢. الظروف التي تسود المحيط الذي ظهرت فيه الدّعوة.
٣. الظروف الزّمانية.
٤. محتوى الدّعوة.
٥. خطط الدّعوة التنفيذية ووسائل الوصول إلى الهدف.
٦. مقدار الاثر الذي تتركه الدّعوة في المحيط.
٧. مقدار إيمان صاحب الدّعوة بهدفه ومدى تضحية في سبيله.
٨. عدم التّساوم مع الاعداء لحرفه عن طريقه.
٩. سرعة تأثير الدّعوة في الرأي العام.
١٠. دراسة الذين يؤمنون بالدعوة وطبقتهم الاجتماعية.

علينا أنْ ندرس هذه الأمور دراسة دقيقة وأنْ ننظم ملفاً خاصاً بذلك بحيث يسهل علينا معرفة صدق مدعي النّبوة أو كذبه. والأن بعد الاخذ بنظر الاعتبار النقاط السابقة، نباشر بإجراء دراسة دقيقة ومكثفة عن شخص نبيّ الاسلام(صلى الله عليه وآله)، على الرغم من أنَّ هذا يتطلب المجلدات الكثيرة:

١. فيما يتعلق بمميزات نبي الاسلام الأخلاقية، فإنَّ كتب التاريخ التي كتبها المحبون والكارهون تؤكد لنا أنَّه كان على درجة من الطهارة والنقاء والاستقامة بحيث أنَّهم في ذلك العصر الجاهلي وصفوه بالصادق الامين. يقول التاريخ: عندما أراد الهجرة إلى المدينة طلب من علي(عليه السلام) أنْ يؤدي عنه الامانات إلى أصحابها.

أمّا شجاعته وثباته وحسن خلقه وسعة صدره وفتوته وتضحياته فيمكن التعرف عليها من خلال حروبه وفترات سلمه. إنَّ العفو العام الذي أصدره بالنسبة لاهل مكة بعد فتحها واستسلام أعدائه الالداء للمسلمين خير دليل حي على خلقه النبيل.

٢. إنَّنا نعلم أنَّ الناس العاديين. بل حتى النّوابغ منهم. يتأثرون بالمحيط الديني الذي يعيشون فيه شاؤوا أم أبوا، وإنْ يكن تأثرهم على درجات متفاوتة. تصور، إذن، رجلا عاش أربعين سنة في محيط كله جهل وعبادة أصنام، وتسوده ثقافة الخرافات والاباطيل، كيف يمكن له أنْ يدعو إلى التوحيد الخالص، وأنْ يبادر إلى مصارعة مظاهر الشرك كلها؟ كيف يمكن أنْ يصدر عن محيط جاهل أعلى التّجليات العلمية التي تعشي الابصار؟ أيمكن أنْ نصدق أن ظاهرة عجيبة كهذه يمكن أن تظهر إلى الوجود بغير أنْ تكون مؤيده من الله من ما وراء الطبيعة؟

٣. علينا أنْ نعرف العصر الذي ظهر فيه النّبي (صلى الله عليه وآله). لقد كان عصر القرون الوسطى، عصر الاستبداد والمحاباة والامتيازات الظالمة، عصر العنصرية والطبقية. تعال نستمع إلى وصف ذاك العصر من لسان علي بن أبي طالب(عليه السلام)، إذ يقول:"بعثه والنّاس ضلال في حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الاهواء، واستنزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الامر، وبلاء من الجهل." فتصور ديناً شعاره المساواة بين الناس والقضاء على التبعيض العرقى والطبقى) :إنّما المؤمنون إخوة (كيف ينسجم مع مثل ذلك العصر؟

٤. محتوى الدعوة التوحيد من جميع الجهات، وإلغاء الامتيازات الظالمة، توحيد عالم الإنسانية، مكافحة الظلم والجور، إقامة حكومة عالمية، الدفاع عن المستضعفين، واعتبار التقوى والطهارة والأمانة من أهم معايير القيم الإنسانية.

٥. بالنسبة للخطط التنفيذية لم يُجِز أبداً المقولة القائلة أنَّ الغأية تسوّغ الواسطة، وللوصول إلى أهدافه المقدّسة. كان يقول:(**وَلا يَجْرِمَنَّكم شَنآنُ قَوم عَلَى أنْ لا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا**)، أمّا علو أخلاقه فيتضح من تعليماته في التزام المبادىء الأخلاقية في ميادين الحرب، عدم الاعتداء على غير المقاتلين، الامتناع عن قطع شجرة، وعدم تلويث مياه شرب العدو، ومعاملة الاسرى بكل محبّة، وعشرات أخرى من أمثال هذه التعليمات.

٦. مقدار تأثير دعوته في ذلك المحيط كان من الشدّة بحيث أن الاعداء كانوا يخشون الاقتراب منه، خوفاً من أن ينجذبوا إليه، فكانوا إذا أخذ يتكلم يثيرون الجلبة والضوضاء لئلا يسمع الناس ما يقول فتنجذب إليه قلوبهم

العطشى. ولكي يموهوا على الناس تأثيره المعجز وصفوه بالساحر الذي ينطق بالسحر، وهذا بذاته اعتراف ضمني بقوّة تأثير دعوته الخارقة للعادة.

٧. أمّا مقدار تضحيته في سبيل دعوته، فلقد كان أشدّ الناس إيماناً بهذا الدين الذي عهد إليه به. في بعض الحروب التي فرّ منها المسلمون الجُدد، وقف هو بثبات، ولم ينفع معه ترغيب الاعداء ولا ترهيبهم، بل ظل ثابتاً على دينه، لا يظهر عليه شى من الضعف والتردد.

٨. كثيراً ما سعوا لجرّه إلى التّساوم مع المنحرفين، ولكنه لم يتزحزح قيد شعرة عن موقفه، بل قال: ''والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر ما تركته''.

٩. لم يكن تأثير دعوته في الرأي العام عجيباً فحسب، بل كانت سرعة انتشارها خارقة للعادة أيضاً. إن الذين قرأوا ما كتبه المستشرقون الغربيون حول الاسلام لابدّ أنّهم لاحظوا أنَّ أولئك يبدون دهشتهم من سرعة انتشار الاسلام. من هؤلاء ثلاثة من الاساتذة الغربيين الذين كتبوا عن تاريخ حضارة العرب يعترفون بهذه الحقيقة دون مواربة، ويقولون: ''على الرّغم من البحوث والدّراسات التي أجريت لمعرفة سبب انتشار الاسلام السريع في العالم بحيث أنه سيطر على جانب واسع من العالم في أقل من قرن، فإنَّ القضية مازالت غامضة''. نعم، أنَّه لغز غامض! ترى كيف استطاع في ظروفه تلك أنْ ينفذ إلى قلوب ملايين الناس بتلك السرعة العجيبة، وأنْ يهضم في ذاته مختلف الحضارات ويخلق حضارة جديدة؟!

١٠. نصل أخيراً إلى أعدائه، فقد كانوا من رؤساء الكفر والظالمين المستكبرين والمترفين والأنانيين، في الوقت الذي كان فيه الذين آمنوا به، في غالبيتهم، المحرومين والعبيد، أناس ما كان لهم من رأسمال سوى الطهارة وصفاء النفس والتعطش إلى الله. من مجموع هذه البحوث . التي يطول شرحها وتفصيلها يمكن أنْ نستنتج أنَّ دعوته دعوة إلهية، دعوة انبعثت ممّا وراء الطّبيعة، وأنَّه قد بعثه الله لينقذ الإنسان من الفساد والضياع والجهل والشرك والظلم والجور.

التقويم:

١. هل هناك طريق لمعرفة صدق النّبي (صلى الله عليه وآله) غير طريق المعجزة؟ ماهي؟

.....

٢. ماهي القرائن التي يجب علينا جمعها؟ وما النقاط التي يجب أنْ نؤكد عليها؟

.....

٣. بين ما تعرفه عن العرب خصوصاً والعالم عموماً في العصر الجاهلي.

.....

٤. هل يمكن معرفة شيء من المقارنة بين حال العرب قبل الاسلام وبعده؟

.....

٥. لماذا اتّهم أعداء الاسلام النّبي (صلى الله عليه وآله) بالسحر؟

.....

معنى الختم

نبيّ الاسلام آخر أنبياء الله، فيه اختتمت سلسلة النّبوة، وهذا من ''ضرورات الدّين الاسلامي''. والضّرورة هنا تعني أنَّ من يدخل صفوف المسلمين سرعان ما يدرك أنَّ جميع المسلمين يحملون العقيدة نفسها وهي من الأمور الواضحة والمسلّم بها عندهم. فمثلما أنَّ كل شخص له تعامل مع المسلمين يعلم أنهم يؤكدون مبدأ ''التّوحيد'' يعلم أيضاً أنهم متفقون جميعاً على أن نبيّ الاسلام (صلى الله عليه وآله) هو خاتم الأنبياء، وليس هناك أي مسلم يتوقع مجيء نبيّ جديد. والواقع أنَّ قافلة البشرية قد طوت خلال مسيرتها نحو التكامل مراحل عديدة ومختلفة الواحدة بعد الأخرى حتى بلغت مرحلة من الرّشد والتّكامل تستطيع معها أنْ تقف على قدميها، أي أنَّها تستطيع أنْ تحل جميع مشكلاتها باتباع التّشريعات الاسلاميّة الجامعة. وبعبارة أخرى: أنَّ الاسلام هو القانون النهائي الشامل في مرحلة بلوغ البشرية ونضجها، فهو من حيث العقائد بلغ الكمال في محتواه، حيث يسدُّ حاجات الإنسان في كل عصر وزمان.

الدليل على أن النبي محمد (ص) خاتم الأنبياء

هناك أدلّة عديدة لاثبات هذا القول، أهمها ما يلي:

١. **ضرورة هذه القضية:** قلنا أنَّ من يتصل بالمسلمين في أي مكان من العالم يدرك أنَّهم يعتقدون بأنَّ نبيّ الاسلام (صلى الله عليه وآله) هو خاتم الأنبياء، وعليه فإذا تقبل أحد الاسلام عن طريق الدليل والمنطق، فلا مندوحة له من أنَّ يقبل بمبدأ اختتام النّبوة بنبي الاسلام. وبما أنَّنا في الدورس السابقة أثبتنا صحّة هذا الدين وصدقه بالادلة الكافية، فلابدّ من القبول بأن مبدأ ختم النبوّة بنبوّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ضرورات هذا الدين.

٢. في القرآن آيات تؤكد كون النّبي (صلى الله عليه وآله) هو خاتم الأنبياء، منها: **(ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَد مِنْ رِجالِكم وَلكنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيينَ)**.

وقد نزلت هذه الاية في الوقت الذي راج فيه بين العرب تبنّي الابناء، إذ كانوا يتبنون أبناء أبوين آخرين ويتخذونهم أبناء حقيقيين لهم ضمن أفراد الاسرة، يرثونهم ومحرم عليهم.

غير أنَّ الاسلام ألغى هذه العادة الجاهلية، وقال أنَّ الابن بالتبني لا يمكن أنْ يكون كالابن الشرعي من حيث الحقوق القانونية، بما فيهم ''زيد'' الذي كان نبيّ الاسلام (صلى الله عليه وآله) قد تبناه، فجاءت الاية تقول للمسلمين أنَّكم بدلا من أنْ تصفوا النّبي بكونه أباً لاحد، صفوه بصفتيه الحقيقيتين: كونه رسول الله، وكونه خاتم النبيين. وهذا يدل على أنَّ هاتين الصفتين كانتا من الأمور المسلم بهما بين المسلمين.

السؤال الوحيد الذي يطرأ هنا هو ما المعنى الحقيقي للخاتمية؟ ''الخاتم من مادة ''ختم'' التي تعنى بلوغ نهاية الشيء، مثل الختم الذي كان يوضع في نهاية الخطاب المكتوب. ومن هنا وضعت كلمة ''الخاتم'' على ما يلبس في الاصابع، لأن فص الخواتم كان ينقش عليه اسم أو رسم وستعمل لختم المكاتبات في ذلك الزمان، وكل ختم كان يخص شخصاً بعينه.

جاء في الرّوايات الاسلامية: عندما أراد رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنْ يكتب الرسائل لملوك العصر وزعمائه يدعوهم إلى الاسلام، قيل له أنَّ من عدّة ملوك العجم أنَّهم لا يقبلون كتاباً مالم يكن فيه ختم صاحبه. وذلك لأن رسائل النّبي حتى ذلك الحين كانت خلواً من كل ختم. فأمر أنْ يحفروا ''لا إلهَ إلا اللهُ محمّد رسول الله'' على فص خاتم، وأخذ يختم به رسائله منذئذ. وعليه، فإنَّ المعنى الاصلي للخاتم هو وضع النهاية والاختتام.

٣. هنالك أحاديث كثيرة تبيّن كون النّبي(صلى الله عليه وآله) كان آخر الأنبياء وخاتمهم، منها الحديث المعتبر المروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: ''مثلي بين الأنبياء كمثل من بنى داراً كاملة لا تنقصها إلا آجرة واحدة، فمن دخلها أعجب بجمالها ولكن يعيبها هذا النقص. فأنا تلك الاجرة الناقصة والأنبياء ختموا بي''. وقد قال الامام صادق(عليه السلام) : ''حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة''. وثمة حديث يذكره الشيعة والسنة أنّه قال لعلي(عليه السلام) :''أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيّ بعدي''. ثمة تساؤلات تبرز في موضوع ختم النّبوة لابدّ من الاشارة إليها:

١. يقول بعضهم أنَّ إرسال الأنبياء فيض إلهي عظيم، فلماذا حرم أناس هذا الزمان من هذا الفيض؟ لماذا لا يكون لاهل هذا الزمان هاد وقائد جديد يهديهم ويقودهم؟

إنَّ الذين يقولون هذا قد غفلوا في الحقيقة عن نقطة مهمة، وهي أنَّ حرمان عصرنا لم يكن لعدم جدارتهم، بل لأن قافلة البشرية في هذا العصر قد بلغت في مسيرتها الفكرية وفي وعيها مرحلة تمكنها من إدامة مسيرتها باتباع الشريعة. ولنضرب هنا مثالا :

أولو العزم من الأنبياء الذين جاءوا بدين جديد وبكتاب من السماء، وهم خمسة (نوح و إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد(عليهم السلام)). وقد ظهر هؤلاء كل في فترة معينة من الزمان، وسعوا لهداية البشر ووضعهم على طريق التكامل، فأوصل كل منهم القافلة البشرية من مرحلة إلى المرحلة التي تليها وسلمها إلى النّبي الذي يليه من أولي العزم، إلى أنْ بلغت القافلة من مسيرتها إلى الطريق النهائي، كما بلغت القدرة التي تمكنها من مواصلة مسيرتها وحدها نهايتها، مثلها مثل التلميذ الذي يطوى مراحل الدراسة الخمس حتى يتخرج في الكلية) وبالطبع لا يعنى هذا أنَّه انتهى من التعلم، بل يعني أهليته للاستمرار بمفرده دونما حاجة إلى معلم أو مدرسة، وهذه المراحل هي: المرحلة الابتدائية، المرحلة المتوسطة، المرحلة الاعدادية، المرحلة الجامعية، وأخيراً مرحلة الحصول على الدّكتوراه. فإذا لم يواصل دكتور الدراسة في الجامعة، فلا يعني هذا أنَّه ليس جديراً بالدّراسة، بل يعنى أنَّ لديه من المعلومات ما يمكنه من حل مشكلاته العلمية بالاستعانة بها، ومن الاستمرار في مطالعاته ومواصلة تقدمه.

٢. لما كان المجتمع البشري دائم التّغير، كيف يمكن أنْ تكون التشريعات الاسلامية الثابتة قادرة على مواجهة تلك التغيرات؟ في الجواب نقول: في الاسلام نوعان من التّشريعات: نوع هو أشبه ما يكون بصفات الإنسان الثابتة، فهو أيضاً ثابت لا يتغير، مثل لزوم الاعتقاد بالتوحيد، وتطبيق العدالة، ومكافحة كل أنواع الظلم والتعسف والعدوان وأمثالها. أمّا النوع الاخر من التشريعات فيتألف من مجموعة من القواعد الكلية العامة التي تتخذ أشكالا جديدة بحسب تغير مواضيعها بحيث أنَّها تسد الحاجة في كل عصر وزمان. فمثلا هنالك مبدأ عام في الاسلام يقول :''أوفوا بالعقود'' لاشك أنْ تعاقب الازمان يخلق أنواعاً جديدة من العقود الاجتماعية والتجارية والسياسية المفيدة التي يستطيع الإنسان أنْ يعقدها مع أخذ المبدأ الاصلي بنظر الاعتبار.

هنالك قاعدة كلية أخرى هي ''قاعدة لا ضرر'' التي تعنى أنَّ كل حكم أو قانون يسبب الضرر للفرد أو المجتمع يجب أنْ يتحدد بحدود. لاحظ كيف أنَّ هذه القاعدة الاسلامية العامة تمنع الاضرار بالاخرين وتحل المشكلات. إنَّ في الاسلام الكثير من أمثال هذه المبادىء الكلية العامّة التي يمكن بتطبيقها حل أعقد المشكلات التي قد تبرز في الحياة الاجتماعية.

٣. لا شك إنَّنا في المسائل الاسلامية بحاجة إلى القائد وعند عدم وجود النبي وغياب وصيه تتوقف قضية القيادة، كما أنَّ اختتام النّبوة بنبيّ الاسلام(صلى الله عليه وآله)لايكون معه انتظار لنبيّ آخر، أفلا يعنى هذا خسارة للمجتمع الاسلامى؟

في الجواب نقول: هذه الحالة أيضاً قد تمّ الاعداد لها من جانب الاسلام، فعن طريق ''ولاية الفقيه'' يمنح الفقيه الجامع للشروط من علم وتقوى ورؤية سياسية على مستويات عالية حق القيادة. كما أنَّ أسلوب معرفة مثل هذا القائد قد بيّنه الاسلام في قوانينه. وعليه فليس هناك ما يدعوا إلى القلق من هذه النّاحية. وبناء على ذلك فإنَّ مبدا ''ولاية الفقيه'' استمرار لخط الأنبياء ووصيائهم(عليهم السلام). إنَّ قيادة الولي الفقيه الجامع للشروط دليل على أنَّ المجتمع الاسلامي لم يترك بدون رعاية وهداية.

التقويم

١. ما المعنى الدّقيق لكلمة ''خاتم''؟

.....

٢. كيف نستدل من آيات القرآن على أن النّبي(صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء؟

.....

٣. لماذا حُرِم الناس في عصرنا من ظهور الأنبياء بينهم؟

.....

٤. ما أنواع القوانين الاسلامية؟ وكيف تسد حاجات كل زمان؟

.....

٥. هل يمكن للمجتمع الاسلامي أنَّ يبقى بدون قائد؟ كيف حلت مسألة القيادة الاسلامية في عصرنا؟

.....